النشاط السياسي للأرمن في مصر١٨٠٥- ١٨٤٨م

بهاء جاسم عوده

bahaajasem@yahoo.com

أ.م. د. نادية ياسين عبد

جامعة بغداد/ كلية الآداب

قسم التاريخ

النشاط السياسي للأرمن في مصر ١٨٠٥- ١٨٤٨م

بهاء جاسم عوده

أ.م. د. نادية ياسين عبد

ملخص البحث:

تمتع الأرمن بالقوة السياسية في مصر خلال القرن التاسع عشر، فانصرفوا عن فكرة العودة إلى بلادهم لهذا اندمجوا في الهيكلين السياسي والاداري أكثر من أي اقلية غير مسلمة، مما جعل مكانتهم أكبر في الدولة وكانت الجالية الأرمنية من اهم الجاليات الاجنبية التي تقلدت مناصب سياسية في مصر، فبرزت عدد من الشخصيات الأرمنية خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ممن كان لهم دوراً كبيراً في مجال السياسة خلال تلك المدة، ابرزهم بوغوص بك يوسفيان الذي شغل منصب ناظر التجارة والامور الخارجية وكان حلقة الوصل بين محمد علي والقناصل الاجانب بحكم مسؤوليته عن ادارة الامور الخارجية لمصر من جهة، واتقانه للعديد من اللغات الاوربية وثقة محمد علي من جهة اخرى، لهذا كان له تأثير كبير على سياسة مصر خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر.

Political Activity of Armenians in Egypt 1805- 1848m

Asistant. Prof. Dr. Nadia Yaseen Abd

University Of Baghdad

College Of Arts

The Student:

Bahaa Jassim Auda

bahaajasem@yahoo.com

Abstract:

The Armenians enjoyed political power in Egypt during the nineteenth century, so they turned away from the idea of returning to their country, so they merged into the political and administrative structures more than any non-Muslim minority, which made their position greater in the country, and the Armenian community was one of the most important foreign communities that held political positions in Egypt, A number of

Armenian personalities emerged during the first half of the nineteenth century who played a major role in the field of politics during that period, most notably Boghos Bey Youssefian, who held the position of overseer of trade and foreign affairs and was the link between Muhammad Ali and foreign consuls by virtue of his responsibility for managing the foreign affairs of Egypt. On the one hand, and his mastery of many European languages and the confidence of Muhammad Ali on the other hand, this had a great impact on Egypt's politics during the first half of the nineteenth century.

المقدمة:

مارس الأرمن مهاماً متعددة في عصر محمد علي باشا، وكان لهم دور كبير في الحياة السياسية في مصر، كما كانت لديهم مؤهلاتهم رشحتهم إلى الانتقال من مجرد القيام بدور الوكلاء التجاريين للقناصل في كثير من أقاليم مصر إلى الترشيح للقيام بدور هام في مجال السياسة، ونقل المؤثرات الأوربية إلى المجتمع المصري عن طريق الترجمة، وحصر منصب المترجم في مؤسسات الدولة في صفوفهم تقريباً، ومن ثم الاقتراب من مركز الحكم في البلاد، مما مكنهم في الحصول على وظائف ومناصب مهمة.

تناول البحث النشاط السياسي للأرمن في مصر١٨٠٥- ١٨٤٨م الذي تتبع دور الأرمن في سياسة مصر من خلال متابعة المناصب التي استلموها والدور الذي ادوه في تلك المناصب.

كما اعتمد البحث على مجموعة من المصادر التي زودتنا بمعلومات مهمة عن سياسة مصر وتأثير الأرمن عليها تم تثبيتها في نهاية البحث.

كان هناك عدد من الشخصيات الأرمنية في مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ممن كان لهم دوراً كبيراً في مجال السياسة خلال تلك المدة (Kardashian, 1986, P.155)، مع انهم كانوا في العموم في الظل، تنفيذاً لإرادة محمد علي الذي كان يميل إلى ان يتصدر لكل الأمور ويكون هو في الظاهر، ويترك الرجال الذين يعتمد عليهم في الخلف، وهذا من شأنه أن يجعل من الصعب تتبع دور الشخصيات في عهد محمد علي، مهما كان أثرها، ولا ادل من ذلك ان المصادر المعاصرة لمحمد علي تجاهلت إلا ما ندر الاشارة إلى هذه الشخصيات، فلم يأتي ذكرهم في كتاب الجبرتي مثلاً "عجائب الأثار في التراجم والاخبار" إلا مرات محدودة.

من ابرز الشخصيات الأرمنية في عهد محمد علي هو بوغوص بك يوسفيان الذي ولد في أزمير عام ١٧٦٨ وتثقف في مدارسها (مجلة الهلال، ١٨٩٩، ص٢٦٢؛ حسن، ٢٠١٤، ص٥)، وانتمى إلى أسرة يوسفيان الأرمنية التي كانت مستقرة في أزمير، وهو الأبن الأكبر لهوفسيب الأرمني(Hofsib)، له أخ واحد أسمه بدروسيان وأخت أسمها مريم (Kardashian, 1986, P.74).

كان بوغوص بك يتكلم اللغات التركية واليونانية والإيطالية والفرنسية (سامي، ١٩٢٨، ص٥٢٨؛ زيدان، ٢٠١٢، ص٢٤٣)، ولما بلغ أشده عمل بالتجارة وأكتسب مهارات تجارية من خلال ممارسة العمل مع والده وأخواله من عائلة أبرويان(Abreuian) الذين كانوا يسيطرون على الحركة الاقتصادية بأزمير، ولديهم علاقات وثيقة مع الأجانب في أزمير، لاسيما القنصلية البريطانية (Kardashian, 1986, P.75).

بعد وفاة والده في عام ١٧٩٠ جاء بوغوص بك يوسفيان إلى مصر ووصلها عام ١٧٩١ (Kardashian, 1986, P.21)، عمل فيها في بادئ أمره كاتباً في جمرك الإسكندرية في مصر، أستمر في هذه الوظيفة حتى الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨، فرجع إلى أزمير بعد قدوم الفرنسيين إلى مصر (سامي، ١٩٢٨، ص٥٢٨)، وفي عام ١٧٩٩ عمل مترجماً في القنصلية البريطانية في أزمير، حيث تعرف على القبطان البريطاني سيدني سميث(Sidney (Smith)[١] أثناء عمله في القنصلية البريطانية فأصطحبه معهُ إلى مصر في عام ١٨٠١ بعد جلاء الفرنسيين عنها ليكون ترجمانه الخاص بها (Kardashian, 1986, P.74).

أصبح بوغوص يوسفيان في عام ١٨٠٤ ترجماناً لدى والي مصر خورشيد باشا[٢]. وعندما تولى محمد علي الحكم في مصر عام ١٨٠٥ أصبح بوغوص يوسفيان من الرجال الذين اعتمد عليهم، وكان ترجماناً وشريكاً تجارياً لمحمد علي (Kardashian, 1986, P.75).

خلال المدة من عام ١٨١٠ إلى عام ١٨٢٥، وبوصفه مترجماً خاصاً لمحمد علي، ساهم بوغوص يوسفيان في إدارة علاقات مصر الخارجية والدبلوماسية مع الدول الأوربية وتطوير صلات مصر التجارية معها، وقد أدرك محمد علي قدرات بوغوص وامكانياته العالية في هذا المجال، وهو ما دفعه إلى الاعتماد على بوغوص يوسفيان بشكل كبير لتنفيذ مشروعاته

الإصلاحية، لهذا تم تعيينه في عام ١٨٢٦ ناظر للتجارة المصرية والامور الخارجية (مجلة المقتطف، ١٩٣٦، ص٤٧٦؛ طربين، ١٩٨٦، ص٧٤).

كان لبوغوص بك علاقات ودية مع جميع الدول الأوربية التي تعامل معها محمد علي، وقد استفاد محمد علي من علاقاته الودية في انجاز مشروعاته، وكانت بريطانيا أكثر الدول الأوربية التي مال إليها بوغوص بك، ويرجع هذا إلى علاقات أسرتي يوسفيان وأبرويان التجارية مع بريطانيا في أزمير، وكان بوغوص بك نفسه قد عمل في القنصلية البريطانية في أزمير مع أخواله قبل قدومه إلى مصر، لهذا كان له دور في اقناع محمد علي في عام ١٨٢٦ بمنح شركة الهند الشرقية الانكليزية[٣] امتياز نقل المسافرين والحقائب البريدية إلى الهند (الامام، ١٩٩٩، ص٢٤٦).

برز دور بوغوص يوسفيان في علاقات مصر خلال مرحلة تدهور علاقة مصر بالدولة العثمانية وما صاحبها من تطورات. فقد قادت طموحات محمد علي إلى المواجهة بينه وبين الدولة العثمانية، وصلت إلى الحرب في عام ١٨٣٢ بين الطرفين، وقد رجحت في هذه الحرب كفة محمد علي، فبعد ان احتلت قواته بلاد الشام واصلت تقدمها شمالاً، واستطاعت في عام ١٨٣٢ ان تحطم الجيش العثماني في معركة قونية[٤]، وهو مالم يكن مناسباً لمصالح الدول الأوربية (التكريتي، ١٩٩٠، ص١٣٠؛ حسين، ١٩٨٠، ص١٧)، فبادرت بريطانيا إلى التعهد بمساندة الدولة العثمانية، وتحركت روسيا بقوة إلى جانب الدولة العثمانية في محاولة منها إلى استثمار الفرصة لتحقيق حلمها بالوصول إلى المياه الدافئة وتحقيق التواجد في الدردنيل والبسفور، اما فرنسا فقد كانت تسعى للاستفادة من طموح محمد علي وتوثيق علاقتها به (Anderson, 1967, P.79). وامام تطور الاوضاع، أرسل محمد علي إلى إبراهيم باشا يطلب فيه ايقاف التقدم باتجاه اسطنبول، لكن إبراهيم باشا واصل زحفه شمالاً حتى وصل إلى كوتاهيه، وهنا تحرك الاسطول الروسي ووصل إلى البسفور، وسارعت كل من بريطانيا وفرنسا إلى التدخل (Bitis, 2000, P.280)، وتوجهت اساطيلهم إلى سواحل مصر، وفرض على محمد علي عقد الصلح مع السلطان محمود الثاني الذي عرف بمعاهدة كوتاهية(Kotahia)[٥]، التي عقدت في عام ١٨٣٣ (صالح، ٢٠١٠، ص٢٦٩).

كان لبوغوص يوسفيان دور في عقد معاهدة كوتاهيه، فعندما وصل البارون الفرنسي دي بوالكمت(De Boilecmt) إلى الإسكندرية لعقد اتفاقية مع مصر، دارت مفاوضات بينه وبين بوغوص يوسفيان، اهم ما جاء في هذه المفاوضات هو انسحاب القوات المصرية من الاناضول وترجع إلى ما وراء جبال طوروس، وتعطى لمحمد علي ولاية مصر مدى حياته، ويعين والياً على ولايات عكا وطرابلس وحلب ودمشق وعلى جزيرة كريت، وان يعين أبنه إبراهيم باشا والياً على إقليم أضنة، وعندما عرض بوغوص يوسفيان هذه المطالب على محمد علي، وافق محمد علي عليها وسحب جنوده إلى ما وراء جبال طوروس (كامل، ٢٠١٢، ص٦٤؛ التكريتي، ١٩٩٠، ص١٣٥).

كما كان بوغوص يوسفيان حلقة الوصل بين محمد علي والقناصل الاجانب، بحكم مسؤوليته عن أدارة الأمور الخارجية لمصر من جهة، واتقانه للعديد من اللغات الأوربية وثقة محمد علي به من جهة ثانية، وبالعموم قبل أن يلتقي قنصل أي دولة أجنبية بمحمد علي كان عليه اللقاء ببوغوص يوسفيان لعرض موضوع اللقاء (شكري، ١٩٤٨، ص٢٦٩)، مثالاً على ذلك ما قام به القنصل الروسي الكسندر دوهاميل(Alexander Duhamel)[٦] في أول قدوم له إلى مصر عام ١٨٣٤، فكتب رسالة إلى بوغوص ليستأذن من خلاله محمد علي بزيارة القاهرة، وكان جواب بوغوص مليئ بالترحاب لمعرفته برغبة باشا مصر بتعزيز علاقاته مع روسيا، ونصت الرسالة التي وجهها بوغوص إلى دوهاميل على أنه "**عظيم الاغتباط بوصول قنصل عام من قبل امبراطور الروسيا، وأن الباشا يسره أن يرى القنصل في القاهرة، وأن الأوامر قد صدرت بأن يكون استقباله مقروناً بكل ما يليق به من حفاوة واحترام**"، وحال وصوله إلى القاهرة استقبله بوغوص بك، ولم يلتقي دوهاميل بمحمد علي إلا بعد خمسة ايام من وصوله (شكري، ١٩٤٨، ص٢٩٢)، بل أن بوغوص بك كان يطالب كل من يلتقي محمد علي من الاجانب بكتابة تقرير تفصيلي عن كل ما دار في اللقاء، وأي ملاحظات اخرى أو نصائح لتحسين نظام الحكم وتطويره، وجاء في تقرير جون بورنج(John Bowring)[٧] الذي رفعه إلى الحكومة البريطانية بانه "**طلب مني بوغوص بك قبل أن اغادر مصر أن اسلمه بياناً موجزاً عن اهم الموضوعات التي كان لي شرف بحثها مع الوالي**" وطلب "**ان اقترح ما اراه مناسباً لإصلاح أداء الحكم في البلاد**" (نقلاً عن: شكري، ١٩٤٨، ص٧٠٠).

كان بوغوص يوسفيان صاحب اليد الطولى في تعزيز العلاقات التجارية بين مصر والولايات المتحدة الامريكية، والتمهيد لإقامة علاقات سياسية بين الجانبين، ففي أواسط عام

١٨٣٤ وصل مصر وليام براون هودجسون(William Brawn Hodgson) وهو احد اعضاء السفارة الامريكية في اسطنبول ومبعوث الخارجية الامريكية في مصر، وكانت مهمته البحث في اقامة علاقات مستقلة عن الباب العالي مع مصر، وسرعان ما قابله بوغوص يوسفيان مقابلتين خاصتين، اوضح خلالها تقدير مصر العالي للولايات المتحدة، والرغبة في توثيق العلاقات معها اكثر مما هي عليه، وقناعته ان في ذلك فائدة متبادلة للبلدين (الحته، ١٩٥٣، ص٨٤).

يمكن القول ان كافة القناصل والمبعوثين الاجانب إلى مصر يلتقون ببوغوص بك قبل محمد علي، وكان يتولى معرفة اسباب اللقاء، وتحديد الموعد بينهم وبين محمد علي، وكان يحضر كل اللقاءات، وكثيراً ما كان بوغوص يبت في امور دون الرجوع إلى باشا مصر، خصوصاً وانه كان على اطلاع بميول محمد علي وتوجهاته، مثالاً على ذلك قبوله تعيين العديد من القناصل من دون المطالبة بالبراءة المعطاة من قبل الباب العالي، تأكيداً على موافقتها على التعيين، مؤكداً ان ذلك غير ضروري، و" **ان الباشا ليس في حاجة إلى براءة يعطيها الباب العالي، ويكفي أن يكون لدى القنصل أمر تعيينه**" (نقلاً عن: شكري، ١٩٤٨، ص٢٦٢).

برز اسم بوغوص يوسفيان أيضاً، خلال الازمة التي حدثت بين مصر من جهة، والدولة العثمانية والعديد من الدول الأوربية اواخر العقد الرابع من القرن التاسع عشر، ففي عام ١٨٣٧ طلبت الدولة العثمانية من محمد علي، مسنودة بدعم اوربي، الانسحاب من سوريا والعودة إلى حدود ولاية عكا، إلا أن محمد علي رفض ذلك، خاصةً بعدما ايقن أن الدولة العثمانية تقوم بمساعدة الثوار السوريين ضده، وتزودهم بالمال والعتاد (البدري، ٢٠٠١، ص١٤٣)، بل ان اعتداد محمد علي بنفسه دفعه إلى التفكير بإعلان استقلال مصر عن الدولة العثمانية عام ١٨٣٨، وهو ما عارضه بوغوص يوسفيان بكل ما امتلكه من قوة، مؤكداً أن أية محاولة لإعلان الاستقلال سينظر لها من قبل القوى الأوربية على اعتبار انها إضعاف وتحدي للدولة العثمانية، لكن محمد علي لم يستمع لنصيحة بوغوص بك، فأعلن الاستقلال عن الدولة العثمانية في الخامس والعشرين من ايار ١٨٣٨ وأكد ان رغبته هو جعل الحكم في مصر وراثياً لأهله من بعده للحفاظ على الاصلاحات التي قام بها (البدري، ٢٠٠١، ص١٤٤)، وبعدها سافر إلى السودان لاستخراج الذهب منها لدعم مشروع الاستقلال، وترك بوغوص يوسفيان نائباً عنه لإدارة شؤون مصر في غيابه بصلاحيات واسعة (زيدان، ٢٠١٢، ص٢٤٥).

خلال مدة غياب محمد علي حاول السلطان العثماني محمود الثاني ان يستغل المشاكل التي اخذ الحكم المصري يواجهها في بلاد الشام، فجدد الحرب مع محمد علي، وحشد جنوده على حدود سوريا لألحاق الهزيمة بجيش إبراهيم باشا، إلا أن إبراهيم باشا دحر الجيش العثماني في معركة نصيبين[٨] عام ١٨٣٩ (التكريتي، ١٩٩٠، ص١٤٣).

بدأت الدول الأوربية وخاصةً بريطانيا تخشى ان تتعرض طرق الهند البرية إلى مخاطر عظمى باستيلاء محمد علي عليها، فضلاً عن الخطر الذي سينشأ من خلال تدخل روسيا، مما يؤدي إلى زعزعة السلم في أوربا (التكريتي، ١٩٩٠، ص١٤٤)، كما انها رفضت فكرة استقلال مصر، وعقد مجلس الوزراء البريطاني اجتماع، واستقر رأي المجلس رفض مشروع الاستقلال، وقد لخص بالمرستون (Balmerston)[٩] وزير خارجية بريطانيا نتائج الاجتماع في رسالة تضمنت:

> "**أن مجلس الوزراء قرر أنه لن يسمح لمحمد علي إعلان استقلاله عن الدولة العثمانية وفصل مصر وسوريا عن الامبراطورية التركية، كما أن المجلس يرى أن عواقب مثل هذا الاعلان لابد أن تؤدي إلى صراع بين محمد علي والسلطان. وفي مثل هذا الخلاف فإن القوات التركية غالباً ما ستهزم وسيندفع الروس لمساندة السلطان وستقوم القوات الروسية باحتلال القسطنطينية والدردنيل، وبمجرد استيلائهم على هذه المواقع فانهم لن يتنازلوا عنها**" (نقلاً عن: البدري، ٢٠٠١، ص١٤٦).

وجهت بريطانيا دعوة إلى الدول الأوربية لإرسال مندوبين من قبلها لحضور مؤتمر يعقد في لندن لحل المشكلة بين السلطان ومحمد علي، عقدت هذه الدول اتفاقاً ووضعت الصيغة النهائية لمعاهدة لندن التي تم على اساسها تسوية الخلافات بين محمد علي والدولة العثمانية (الشاذلي، ١٩٨٩، ص١٣٤)، وفي الخامس والعشرين من اب ١٨٤٠ وقع الحلفاء على معاهدة لندن وكان من بين شروطها ان يمنح السلطان ولاية مصر لمحمد علي، ويكون الحكم فيها وراثياً لأهله من بعده، وكذلك ولاية عكا بما في ذلك الاطراف الجنوبية لسوريا مدى حياته فقط، شرط انسحاب محمد علي من سوريا والاراضي العثمانية وإعادة الاسطول التركي، وخلال عشرة ايام اذا رفض محمد علي سيتم سحب عرض ولاية عكا، واذا استمر رفضه لمدة عشرين يوم، فأن السلطان العثماني والحلفاء يستخدمون القوة ضده (البدري، ٢٠٠١، ص١٩٩).

نصح بوغوص يوسفيان محمد علي بقبول المعاهدة، لكن محمد علي اصر على تمسكه بسوريا، وحاول بوغوص يوسفيان اقناعه ان بالإمكان التفاوض بشأن سوريا في وقت لاحق، وان من المهم حلحلة الامور، حتى لا تمثل تحدياً من قبل مصر للدول الأوربية المتحالفة، حرصاً على مصلحة مصر، وادراكاً من يوسفيان بخطورة الوضع، لكن محمد علي اصر على رفض المعاهدة، فبدأت العمليات العسكرية ضد مصر (بك، ١٩٣٧، ص١٢٢).

وفي الخامس عشر من تشرين الاول ١٨٤٠ اعلن الباب العالي عزل محمد علي حتى يضعف نفوذه لدى القبائل الثائرة في سوريا، فقام الحلفاء بأثارة رجال القبائل في سوريا ضد جيوش محمد علي وقاموا بتضييق الموانئ المصرية، وقطعوا الصلات بين مصر وسوريا وجعلوا انسحاب القوات المصرية من الشام من أشق الأعمال، وفي كانون الأول عام ١٨٤٠ انسحبت القوات المصرية من سوريا إلى الإسكندرية (التكريتي، ١٩٩٠، ص١٤٧).

ارسل بالمرستون في الحادي والعشرين من تشرين الاول ١٨٤٠ احد ضباطه يدعى نابير(Napier) إلى الإسكندرية للتفاوض مع محمد علي، ترأس هذه المفاوضات من جانب مصر بوغوص بك، وطلب نابير عدم إرسال مزيد من القوات المصرية إلى سوريا، وانسحاب ما تبقى من القوات المصرية منها، وإعادة الاسطول العثماني إلى اسطنبول، وقد رد بوغوص بك على رسالة نابير باسم محمد علي وأكد له "**رفضه لحين وصول ما يشير رسمياً بأن السلطان قد أعاد لمحمد علي الحكم الوراثي لمصر، وأن القوى الأوربية ستكون ضامنة لذلك ... وسأله عما إذا كان مفوضاً من الحكومات للتوقيع على اتفاقية**" (نقلاً عن: البدري، ٢٠٠١، ص٢١٢).

بدأ بوغوص يوسفيان يسعى للوصول إلى اتفاق لأنهاء الازمة مع نابير، وتحت ضغط تطور الاوضاع، تمكن من اقناع محمد علي بضرورة قبول شروط المعاهدة، وفوض بوغوص بك لأجراء الاتفاق مع الضابط البريطاني نابير، وتم التوقيع على الاتفاق بين الطرفين في السابع والعشرين من تشرين الثاني ١٨٤٠، وقد تضمن الاتفاق موافقة محمد علي على الشروط على أن يتم سحب القوات المصرية المتبقية من سوريا فوراً بكامل اسلحتها، وبعدها سيصدر فرماناً بإعادة تعيين محمد علي والياً على مصر، وان يكون الحكم وراثياً (الشناوي ويحيى، ١٩٥٨، ص٥٦٠).

وافق بالمرستون على الاتفاقية التي وقعها بوغوص من جهة، ونابير من جهة اخرى، واجتمع بالمرستون مع ممثلي دول التحالف وأكد لهم أهمية قبول الاتفاقية، موضحاً لهم بأنها لا

تتناقض مع مقررات معاهدة لندن، وأن قبولها يعني إنهاء الأزمة مع مصر، وقد وافق سفراء الدول الأوربية على الاتفاقية[١٠]، لكن الدولة العثمانية رفضت الموافقة، لعدم استشارتها في هذا الأمر، فضلاً عن انها كانت ترغب في التخلص من محمد علي (البدري، ٢٠٠١، ص٢١٣)، لذا اضطرت الدول الأوربية إلى التدخل والضغط على الدولة العثمانية لقبول الاتفاقية، خاصة أن محمد علي التزم بتنفيذ بنودها، فأعاد الأسطول إلى الدولة العثمانية، لهذا أرسلت الدول الأوربية مذكرة إلى السلطان العثماني يطالبونه فيها بإلغاء الفرمان السابق، وإعادة وضع محمد علي والياً على مصر، وأن يكون حكم أسرته وراثياً، وهو ما اضطر السلطان العثماني إلى قبوله، فأصدر فرمان في الثالث عشر من شباط ١٨٤١ بتعيين محمد علي والياً على مصر، وأن يكون حكم البلاد وراثياً لأسرته من بعده (بك، ١٩٣٧، ص١٢٥).

ظل بوغوص بك في منصبه ناظراً لديوان التجارة المصرية والأمور الخارجية، حيث كان بوغوص بك ذراع محمد علي اليمين في جميع علاقاته الخارجية والتجارية حتى وفاته (البدري، ٢٠٠١، ص٢١٤).

توفي بوغوص بك في الإسكندرية عام ١٨٤٤ وكان عمرهُ(٧٦)عاماً، وكان محمد علي في القاهرة فحزن حزناً شديداً (جابر، ٢٠١٦، ص٢٦)، وأصدر أمراً إلى محرم بك حاكم الإسكندرية آنذاك، على أن تكون جنازة بوغوص بك بمراسيم عسكرية وعلى نفقة الحكومة (زيدان، ٢٠١٢، ص٢٤٥)، فدفنوه في كنيسة الأرمن الغريغورية في الإسكندرية، ولم يكن من أقاربه في مصر آنذاك إلا نوبار باشا (جابر، ٢٠١٦، ص٢٧)، وقد أعلنت الحكومة المصرية حداداً لوفاته لمدة أربعين يوماً (زيدان، ٢٠١٢، ص٢٤٥)، ولا يخلو من مغزى الاشارة إلى انه بعد انقضاء مدة الحداد فتحوا صناديقهُ، وجدوا كل الأوراق التي سلمها لهُ محمد علي عندما سافر إلى السودان ١٨٣٩، وهذه الأوراق مختومة على بياض لاستخدامها في ما يقتضي إصداره من الأوامر والمنشورات في فترة غياب محمد علي، على حالها وهو مؤشر مهم على أمانته وإخلاصه (Kardashian, 1986, P.22). ان وجود مثل هذه الأوراق يدل على مدى الثقة التي منحها محمد علي باشا لبوغوص بك، ومدى حرص بوغوص بك على تلك الاوراق والمحافظة عليها على ان لا تخرج هذه الاوراق إلا للحاجات الضرورية، لذلك بعد وفاة بوغوص بك وجدوها مخزونة ولم يعرف احد عنها شيء إلا بعد وفاته.

بعد وفاة بوغوص يوسفيان استمر منصب نظارة التجارة والامور الخارجية بيد الأرمن، فتولى المنصب أرتين بك تشراكيان عام ١٨٤٤، وهو الرجل الثاني في سلسلة أهل الثقة من الأرمن الذين قاموا بدور همزة الوصل الرئيسة بين محمد علي والأوربيين (زيدان، ٢٠١٢، ص٢٤٥).

خلال فترة تولي أرتين بك النظارة انتهج سياسة موالية لفرنسا، ربما لتعلمه بها أو لكونه كان كاثوليكياً، وقد تمثلت مظاهر هذه السياسة في اطلاق حرية التصرف للموظفين الفرنسيين داخل الحكومة المصرية، والسماح لبعض المقاولين المهندسين الفرنسيين العمل في قناطر الدلتا طبقاً للتصميمات الفرنسية، فضلاً عن السماح لهم بوضع استحكامات للإسكندرية طبقاً للمواصفات الفرنسية (عزازيان، ١٩٩٣، ص١٥٠).

وفي مقابل سياسته الموالية لفرنسا، استخدم أرتين الأرمني سياسة معادية لبريطانيا، وساهم في سحب الكثير من الامتيازات البريطانية في مصر، ولهذا واجه القنصل البريطاني في مصر الكثير من الصعوبات في التفاوض حول العديد من الامور الهامة خلال تولي أرتين بك نظارة التجارة والخارجية، كما بذل أرتين بك مجهوداً كبيراً في تحويل امتياز شركة الهند الشرقية الانجليزية الخاص بنقل المسافرين والحقائب البريدية إلى الهند الذي حصلت عليه الشركة في عام ١٨٢٦، وفعلاً نجح في اقناع محمد علي أن الامتياز الذي منح للشركة الإنجليزية يشكل خطراً على مصر، فتم إلغاء هذا الامتياز في عام ١٨٤٦، وانشأ أرتين بك إدارة ترانزيت قامت بأعمال الشركة الإنجليزية (الامام، ١٩٩٩، ص٢٤٥).

وفي عام١٨٤٨م كان أرتين بك ضمن اللجنة التي ارادت التشاور على من يتولى زمام الحكم من بعده، بعد أن تعرض محمد علي لوعكة صحية، كما شارك العديد من الأرمن في المجالس التي عقدت من كبار الباشوات والنظار بشأن مستقبل الحكم في مصر (Alpuichian, 1960, P.42).

من الشخصيات الأرمنية الأخرى هو نوباريان(Nobarian) الذي أرسله محمد علي إلى فرنسا ممثلاً له في باريس عام ١٨٣٨ (شكري، ١٩٤٨، ص٢٠٥). وارتبط بهذه الشخصية شخصية أرمنية اخرى كان لها اثرها في الحياة السياسية في مصر في عهد محمد علي، وازداد دوره في الحياة السياسية في مصر بصورة اكبر بعد عهد محمد علي وهو نوبار باشا الذي خدم

ستة من ولاة مصر وهم كل من محمد علي باشا ثم عباس حلمي الأول ثم سعيد ثم إسماعيل ثم توفيق واخيراً عباس حلمي الثاني، ولكن الاثر السياسي الأكبر لنوبار باشا في مصر كان أثناء حكم الخديوي إسماعيل من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٧٩ (محمود، ١٩٩٩، ص٤١٧). ولد نوبار باشا في الرابع من كانون الثاني ١٨٢٥ في أزمير، وهو الابن الرابع لمجرديتش نوباريان وكيل محمد علي في باريس، ولما بلغ من العمر حوالي ست سنوات، أرسل إلى أوربا حيث درس في سويسرا ثم في فرنسا (باشا، ٢٠٠٩، ص٣٥)، حيث تلقى تعليمه الابتدائي في جنيف، ثم توجه إلى سورين بالقرب من تولوز في فرنسا وتلقى تعليمه بمدرستها الثانوية خلال المدة بين عامي (١٨٣٦-١٨٤٠) (فاضل، ٢٠١٨، ص١٣) .

خلال وجوده في فرنسا أراد نوبار الانخراط في الجيش الفرنسي، لكن خاله بوغوص بك الذي كان يشغل منصب ناظر التجارة والأمور الخارجية في ذلك الوقت لوالي مصر محمد علي باشا، نصحه بالمجيء إلى مصر، فاستجاب لنصيحة خاله، وحضر إلى مصر عام ١٨٤٢، وهو في السابعة عشرة من عمره (مخلوف، ١٩٨٢، ص١٥؛ بدوي، ١٩٩٤، ص١٠٧).

كان أول عمل لنوبار في الحكومة المصرية، هو إرساله بمأمورية إلى باريس في عام ١٨٤٢ بعد وفاة والده في مدينة مرسيليا، وكانت فرنسا تخشى ان تقع مراسلاتها مع محمد علي بيد الباب العالي، لهذا أرسلت الحكومة الفرنسية إلى محمد علي تخبره بأن القنصل العثماني في باريس اخذ اوراق مجرديتش نوباريان تمهيداً لنقلها إلى اسطنبول، وبمجرد أن بلغ مسامع محمد علي ذلك، حتى سارع بالاتفاق مع بوغوص بك الى تكليف نوبار مجرديتش نوباريان بالذهاب الى فرنسا، والمطالبة بأوراق والده من القنصل العثماني على اعتبار أنها أوراق شخصية (فاضل، ٢٠١٨، ص١٧).

في عام ١٨٤٦ أصبح نوبار سكرتيراً ثانياً لمحمد علي باشا (عباس، ٢٠١٧، ص٥٨)، وقد أكسبته هذه الوظيفة وضعاً حساساً ومقاماً رفيعاً نظراً لتواجده المستمر في معية محمد علي باشا مما اتاح له الفرصة للاطلاع على كافة الأمور صغيرها وكبيرها (فاضل، ٢٠١٨، ص٢٥)، ومهدت لانتقاله إلى مناصب اكثر اهمية فيما بعد.

كان وراء وصول الأرمن لهذه المناصب عدة اسباب منها اتقان الأرمن للعديد من اللغات وخبرتهم في النشاط التجاري والحياة الإدارية، والأهم من هذا أن الأرمن لم يتطلعوا إلى اقامة دولة

مستقلة بهم، ولم يكن لهم من الثقل العددي في مصر ما يسمح لهم حتى بالتفكير بذلك أو أي نشاط سياسي مشابه، ولم يكونوا يشكلوا أي تهديد لمحمد علي، بل على العكس بحاجة إلى دعم الحكومة لهم وحمايتهم، وهو ما كان محمد علي يدركه تماماً، لذا قام بتوفير الحماية لهم، سواء كانت سياسية او دينية او اقتصادية، واعتمد عليهم في الكثير من المناصب معتمداً على ولائهم واخلاصهم له، فاصبح الكثير منهم باشوات في مصر (عباس، ٢٠١٧، ص٥٦).

الخاتمة:

تبين مما سبق كان للأرمن ثقلهم في الجانب السياسي في مصر خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر، في ظل تقريب محمد علي لهم ادراكا منه لامكاناتهم وعدم قدرتهم في تشكيل اي خطر على حكمه، فتولى الأرمن إدارة معظم علاقات مصر الخارجية والدبلوماسية مع الدول الأوربية طوال عهد محمد علي الذي اسند اليهم الكثير من المناصب المهمة معتمداً على ولائهم واخلاصهم له، وأستأثر الأرمن بوظائف عديدة في مصر وبسلطات واسعة، منها الصيرفة والجمارك، وصارت معظم الوظائف المتصلة بشؤون التجارة الخارجية حكراً عليهم حتى لقب بالديوان الأرمني لهذا اندمجوا في الهيكل السياسي أكثر من أي اقلية غير مسلمة، مما جعل مكانتهم أكبر في الدولة.

المصادر :

باللغة العربية

١. احمد احمد الحته، العلاقات الاقتصادية بين مصر والولايات المتحدة الامريكية في القرن التاسع عشر، مجلة الاقتصاد والتجارة، القاهرة، العدد: ١، السنة الأولى، ١٩٥٣.
٢. أحمد طربين، تاريخ المشرق العربي المعاصر، دمشق، ١٩٨٦.
٣. أمين سامي، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، ج٢، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٨.
٤. جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج١، هنداوي للنشر، القاهرة، ٢٠١٢.
٥. جمال بدوي، مصر من نافذة التاريخ، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤.
٦. سحر حسن، بوغوص بك يوسفيان أول وزير خارجية لمصر ١٨٢٦ – ١٨٤٤، مجلة أريك، العدد: ١٤، القاهرة، ٢٠١٤.
٧. عباس عبد الوهاب علي آل صالح، السياسة الروسية تجاه الصراع العثماني المصري في مرحلته الاولى(١٨٣١– ١٨٣٣م)، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية، المجلد: ١٠، العدد: ٣، جامعة الموصل، ٢٠١٠.
٨. عبد الامير محمد أمين، الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد: ١٢، بغداد، ١٩٨٠.
٩. عبد الرحمن زكي، التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٠.
١٠. عبد العزيز محمد الشناوي وجلال يحيى، وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٥٨.
١١. عبد الغفار محمد حسين، بناء الدولة الحديثة في مصر، ج١، دار المعارف، المنصورة، ١٩٨٠.
١٢. لميس جابر، بوغوص بك رجل محمد علي المخلص، مجلة داليدا، السنة الأولى، العدد: ١، القاهرة، ٢٠١٦.
١٣. لؤي جمعة فاضل، نوبار باشا ودوره السياسي في مصر حتى عام ١٨٩٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، قسم التاريخ، ٢٠١٨.

١٤. مجلة المقتطف، القاهرة، ج١، المجلد: ٨٩، ١٩٣٦.
١٥. مجلة الهلال، القاهرة، ج٧، السنة السابعة، ١٨٩٩.
١٦. محمد رفعت الامام، تاريخ الجالية الأرمنية في مصر القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.
١٧. محمد رفعت بك، تاريخ مصر السياسي في الازمنة الحديثة، دار المعارف للنشر، القاهرة، ١٩٣٧.
١٨. محمد رفعت عبد العزيز، الجيش المصري وحروب الشام الاولى دراسة في ضوء وثائق عابدين، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٩.
١٩. محمد عبد الستار البدري، المواجهة المصرية الأوربية في عهد محمد علي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١.
٢٠. محمد فؤاد شكري وآخرون، بناء دولة مصر محمد علي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٨.
٢١. محمود ثابت الشاذلي، المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية(١٢٩٩-١٩٢٣م)، مكتبة وهبة للنشر، القاهرة، ١٩٨٩.
٢٢. محمود عبد الواحد محمود القيسي، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند(١٦٠٠- ١٦٦٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم التاريخ، ١٩٩٣.
٢٣. مذكرات نوبار باشا، ترجمة: جارو روبير طبقيان، مقدمة وملاحظات: ميريت بطرس غالي، مراجعة: إلهام ذهني، تقديم ودراسة وتعليق: لطيفة محمد سالم، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.
٢٤. مصطفى كامل، المسألة الشرقية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.
٢٥. نجيب مخلوف، نوبار باشا وما تم على يده، القاهرة، ١٩٨٢.
٢٦. نزيه نصيف الايوبي، الدولة المركزية في مصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٩.
٢٧. هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الاولى١٧٧٤- ١٨٥٦، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٩٠.
٢٨. هند نجم عبد عباس، الحياة الاجتماعية في مصر(١٧٩٨- ١٨٤٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية تربية بنات، جامعة بغداد، قسم التاريخ، ٢٠١٧.

٢٩. هوري عزازيان، نبذه تاريخية موجزة عن الجاليات الأرمنية في البلاد العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع، حلب، ١٩٩٣.

٣٠. يوسف حسين يوسف عمر، الدبلوماسية الفرنسية تجاه المسألة المصرية من بداية الازمة وحتى معاهدة هونكار إسكلة سي ١٨٣١- ١٨٣٣ دراسة في ضوء وثائق وزارة الخارجية البريطانية الغير منشورة، المجلة الأردنية للتاريخ والأثار، المجلد: ١١، العدد: ٢، ٢٠١٧.

باللغة الانكليزية

1-Alexander Bitis, The Russian Army and Eastern Question 1821- 1834, London, 2000.

2- Henry Lutton Bulwer, The Life Of Henry John Temple and Viscount Palmerston, Vol.2, Leipzig, 1871.

3- Lewin B. Bowring, Autobiographical Recollections Of Sir John Bowring, London, 1877.

4- M. S. Anderson, The Eastern Question 1774- 1923 A Study in international Relations, New York, 1967.

5- Omar Abdel-Aziz Omar, Egyptian Relations and The Construction Of The Alexandria-Cairo-Suez Railway 1833-1858, London, 1966.

6- Thomas Pocock, The Life of Admiral Sir Sidney Smith, Canada, 1998.

باللغة الأرمنية

1- Ardashes Kardashian, Badmkan Noiter Ekbdahay Tes Masen, Vol.2, Venice, 1986.

2- Arshage Alpuichian, Yekptosi Haeira, Cairo, 1960.

الهوامش:

[١] – سيدني سميث(١٧٦٤– ١٨٤٠م): ولد في وسط عائلة عسكرية وبحرية، ولما بلغ اشده التحق بالبحرية الملكية عام ١٧٧٧ ولشجاعته تمت ترقيته إلى رتبة ملازم على السفينة الحربية البريطانية، وفي عام ١٧٩٠ حصل على تصريح للخدمة في البحرية السويدية، وفي عام ١٧٩٢ عمل في القنصلية البريطانية في أزمير، وعند اندلاع الحرب مع فرنسا في عام ١٧٩٣ قام بتجنيد بعض البحارة البريطانيين وانضم إلى الاسطول البريطاني، فقام بتدمير الكثير من السفن الفرنسية، توفي عام ١٨٤٠. للمزيد ينظر:

Thomas Pocock, The Life of Admiral Sir Sidney Smith, Canada, 1998, P.114.

[٢]– خورشيد باشا(؟– ١٨٢٢م): ولد في القوقاز من أصل جورجي، عُين والياً على مصر عام ١٨٠٤، لم يكن مطمئناً لموقف محمد علي فأراد التخلص منه لأنه مصدر خطر لاكتسابهُ ثقة الشعب فدبر له خورشيد باشا حيلة لإبعاده عن القاهرة فكلفهُ في الخروج لمقاتلة المماليك في الأرياف واستولى على العاصمة بمساعدة جنود من الأكراد، إلا أن هؤلاء عاملوا الناس بكل قساوة، فعقد العلماء والاعيان المصريين اجتماعاً عام ١٨٠٥ قرروا فيه عزل خورشيد باشا، لعجزه عن حفظ الأمن، فتم عزله ورحل عن مصر، توفي عام ١٨٢٢. للمزيد ينظر: نزيه نصيف الايوبي، الدولة المركزية في مصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٩، ص٧٨.

[٣]– شركة الهند الشرقية الانكليزية: تأسست في٣١ كانون الاول ١٦٠٠م، وفي عام ١٦٠٨ أسست لها قاعدة في سورات على الساحل الغربي من الهند، وفي عام ١٦٢٥ تم تأسيس محطة تجارية لها في أرماكون، وتعد أولى المحطات المحصنة للشركة في الهند، لأنها احيطت بأثنتي عشر مدفعاً مع ثلاثة وعشرين جندياً، رافق تأسيس محطة أرماكون تأسيس محطة تجارية اخرى في بيتابولي الغربية من أرماكون عام ١٦٢٦ الذي عزز وضع الشركة على الساحل، وساعدها في مد نشاطها إلى المناطق المجاورة، وفي عام ١٦٤٣ انشأت اول مركز تجاري لها في البصرة، ولم يقتصر نشاطها على الجانب التجاري، بل تبنت مواقف سياسية، ففي عام ١٦٦١ اصدر شارل الثاني مرسوماً فوض الشركة بموجبه اعلان الحرب او السلم، وان تعقد المعاهدات، وتعد تلك الخطوة أولى المحاولات التي سعت من خلالها انكلترا إلى بسط سلطانها ونفوذها السياسي على الخليج العربي ومن ثم بلاد فارس وبلاد الرافدين. للمزيد ينظر: محمود عبد الواحد محمود القيسي، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند(١٦٠٠– ١٦٦٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية

الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٣، ص٥٠- ص٥١؛ عبد الامير محمد أمين، الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد: ١٢، بغداد، ١٩٨٠، ص١٨٥.

[٤]- معركة قونية: وهي المعركة التي حدثت في ٢١ كانون الاول١٨٣٢ بين القوات العثمانية بقيادة رؤوف باشا والقوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا في قونية ببلاد الشام، اسفرت عن هزيمة الجيش العثماني، وكانت هذه المعركة من المعارك الفاصلة لانها فتحت الطريق امام الجيش المصري للوصول إلى اسطنبول. للمزيد ينظر: محمد رفعت عبد العزيز، الجيش المصري وحروب الشام الاولى دراسة في ضوء وثائق عابدين، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٩، ص٥١.

[٥]- معاهدة كوتاهية: وهي المعاهدة التي عقدت في ٤ ايار ١٨٣٣ بين الدولة العثمانية ومصر، وبموجبها تنازل الباب العالي عن كامل بلاد الشام، واقر بولاية محمد علي على ولاية مصر وكريت واضنة، وتعهد محمد علي مقابل هذا بأنسحاب إبراهيم باشا وجنوده من الاناضول. للمزيد ينظر: يوسف حسين يوسف عمر، الدبلوماسية الفرنسية تجاه المسألة المصرية من بداية الازمة وحتى معاهدة هونكار إسكلة سي ١٨٣١- ١٨٣٣ دراسة في ضوء وثائق وزارة الخارجية البريطانية الغير منشورة، المجلة الأردنية للتاريخ والأثار، المجلد: ١١، العدد: ٢، ٢٠١٧، ص٥٦.

[٦] - الكسندر دوهاميل: دبلوماسي روسي، عُين قنصلاً عاماً لروسيا في مصر عام ١٨٣٤م من قبل الامبراطور الروسي نيقولا الأول، لتوثيق العلاقات السياسية بين مصر وروسيا. ينظر:

Omar Abdel-Aziz Omar, Egyptian Relations and The Construction Of The Alexandria-Cairo-Suez Railway 1833-1858, London, 1966, P.53-54.

[٧]- جون بورنج(١٧٩٢-١٨٧٢م): ولد في أكستر جنوب غرب انكلترا عام ١٧٩٢م، وبدأ حياته يعمل بالنجارة مع والده، وفي عام١٨٢٦م اصبح محرر لمجلة وستمنستر واستمر لعدة سنوات في تحرير هذه المجلة، وفي عام ١٨٣٠م عين محققاً تجارياً نيابة عن مجلس التجارة، وخلال المدة ١٨٣٥- ١٨٣٧م كان عضواً في برلمان المملكة المتحدة، وفي عام ١٨٤٨م اصبح قنصلاً في مدينة كانتون في الصين، توفي عام ١٨٧٢م. للمزيد ينظر:

Lewin B. Bowring, Autobiographical Recollections Of Sir John Bowring, London, 1877, P.2-3.

[٨]- معركة نصيبين: وهي المعركة التي حدثت في ٢٤حزيران١٨٣٩م، بين الدولة العثمانية بقيادة حافظ باشا والجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا، انتصر فيها الجيش المصري على الجيش العثماني، وبلغت خسارة الدولة العثمانية في هذه المعركة نحو ٤,٥٠٠ قتيل وجريح. للمزيد ينظر: عبد الرحمن

زكي، التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٠، ص٤٧٠-ص٤٧١.

[٩]- بالمرستون(١٧٨٤- ١٨٦٥م): ولد عام ١٧٨٤م ينحدر من اسرة ثرية ذات ممتلكات واراضي زراعية في أيرلندا وبريطانيا، شغل منصب وزير الحرب مدة تسعة عشر عاماً (١٨٠٩-١٨٢٨م)، تولى وزارة الخارجية ثلاث مرات ورئيس للوزراء مرتين الاولى (١٨٥٥-١٨٥٨م) والثانية (١٨٥٩-١٨٦٥م)، كان مؤيداً للأنظمة الليبرالية في أوربا وإلى الحركات القومية، كما اوقف زحف جيوش محمد علي على اسطنبول، توفي عام ١٨٦٥م . للمزيد ينظر:

Henry Lutton Bulwer, The Life Of Henry John Temple and Viscount Palmerston, Vol.2, Leipzig, 1871, P.10-11.

[١٠]- محمد عبد الستار البدري، المصدر السابق، ص٢١٣.